

نجدة كربوغا لأنطاكيا أثناء الحصار الصليبي من خلال تاريخ متي الرهاوي - دراسة تأريخية نقدية

م. د. فرقد شاكر علوان
مديرية تربية محافظة ديالى

الملخص

كانت الحروب الصليبية محط اهتمام لدى المؤرخين المسلمين وغير المسلمين وقد أسهبت هذه المصنفات في تناولها، وأن مصنفات المؤرخين غير المسلمين أمدتنا بتراث ضخم حول ذلك، ويعدّ متي الرهاوي في كتابه المعروف بـ(تأريخ متي الرهاوي) من أبرز المصادر الأرمينية المعاصرة لأحداث الحروب الصليبية؛ لما يحويه من معلومات افتقرت له بعض المصادر المعاصرة، إذ تناول الروايات الخاصة بها كشاهد عيان للعصر مما جعله أحد المصنفات المهمة في ذلك العصر، هذا الأمر جعل أنظارنا تتجه نحو دراسة حملة كربوغا لنجدة أنطاكيا بوساطته.

الكلمات المفتاحية: كربوغا، أنطاكيا، صليبيين.

**Assistance of Kürboğa for Antioch during the Crusaders Siege
through the History of Matte Al-Rahawi - A Historical Critical Study**

Dr. Farqad Shakir Alwan

General Directorate of Education / Diyala

Abstract

The Crusader wars were the focus of attention to Muslim and non-Muslim Historians and these works have been expanded on them. The works of non-Muslim Historians have provided us with a huge heritage about that, and Matte Al-Rahawi in his book known as (The History of Matte Al-Rahawi) is one of the most prominent contemporary Armenian sources of the events of the Crusader wars because it contains information that is lacked in some contemporary sources, as it dealt with its own novels as an eyewitness to the era, which made it one of the important works in that era. This made the researchers interest view towards studying Kürboğa campaign to rescue Antioch through it.

Keywords: Kürboğa, Antioch, Crusaders.

المقدمة:

تحتل الدراسات التي تتعلق بالحروب الصليبية مكانة خاصة بين الدراسات التاريخية؛ لما لها من مكانة وأهمية بالغة، وقد شهد العالم الإسلامي عدّة حملات صليبية لاحتلال أراضيه، وسعى السلاجقة وغيرهم من حكام المسلمين لصدّ هذه الهجمات، وقاموا بتسيير الجيوش نحو بلاد الشام، وقد أسهبت المصادر الإسلامية وغير الإسلامية بذكرها، ويعدّ متي الرهاوي (ت نحو ٥٤٣هـ/١١٥٠م) واحدًا من المؤرخين غير المسلمين الذين تطرقوا في كتاباتهم لهذه الحملات وسيرها تجاه البلدان الإسلامية واحتلالها للمدن.

وقد ارتأينا دراسة حملة كربوغا لنجدة أنطاكيا من الحصار الصليبي بهذا المصنف؛ لأنّ الاعتماد على مصادر متعددة الانتماءات والاتجاهات في جردها للروايات يعطي قيمة وأهمية بالغة لتلك الدراسة، إذ تكمن أهميتها في معرفة وجهة نظر هؤلاء المؤرخين وكيفية تناولهم لقضايا المسلمين، ومدى أهمية ما تناولته مصنفاتهم سواء اتسمت بتغليب العاطفة الدينية أم كان التجرد والعلمية هي دينهم.

وتناول البحث دراسة في سيرة متي الرهاوي/حياته ومصنفه، فضلاً عن حملة كربوغا استعدادها وانطلاقها وحصارها لمدينة الرها ومن ثم حصارها لأنطاكيا، وقد اعتمدنا في دراستنا على بعض المصادر منها: كتاب تاريخ الحملة إلى القدس لفوشيه الشارتي (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م)، وكتاب الحروب الصليبية لوليم الصوري (ت ٥٨٠هـ/١١٨٦م)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، ومرآة الزمان لسبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٥م)، وغيرها من المصادر والمراجع.

المبحث الاول

دراسة في سيرة متي الرهاوي

أولاً. حياته:

تكاد تكون معلوماتنا عن حياة هذا المؤرخ شحيحة جداً؛ كون المصادر افتقرت لتاريخ ولادته، إلا بمقتطفات بسيطة عن حياته.

انحدر متي الرهاوي من أصول أرمنية، وقد أطلق على نفسه الرهاوي وهو لقب اتخذه نسبة إلى مدينة الرها^(١)، وأكد أنّ أصوله أرمنية واعتز بانتمائه لقادة الأرمن ، فعند وفاة أمير الأرمن كوخ فاسيل^(٢) ذكر قائلاً : "وعمّ الحزن في كلّ أمتنا " وقال أيضاً : "المحارب الشهير الذي اجتمعت عنده فلول جيشنا الوطني " غير أنّ تاريخ ميلاده ووفاته غير معروفين ولا يزال يكتنفهما الغموض^(٣).

وقد نشأ في مدينة الرها^(٤)، ولكن يبدو أنّ حياته لم يعرف عنها الكثير^(٥) ، وقد عاش وترعرع وقضى أكثر حياته فيها ويبدو هذا جلياً أثناء سرده لأحداث حوليته^(٦).

ولقب نفسه في كتابه باللقب العرقي الرهاوي (اورهيتسي) "Ourhaietsi" أو بالأحرى المولود في الرها "اورها/Ourha" ، وذكر المؤرخ في كتابه بأنّ هذه المدينة أعطته الفرصة وبعدها بأسطر وصف نفسه برئيس الدير (Vonerets)^(٧) ، وأعتقد بأنّه كان رئيساً لأحد الأديرة في مدينة الرها من دون معرفة اسم هذا الدير^(٨) ، أما تاريخ وفاته فقد اختلفت المصادر في ذلك فقيل: إنّّه توفي سنة (١٣٦هـ/١٣٦م)^(٩)، وقيل: توفي أثناء استيلاء عماد الدين زنكي^(١٠) على الرها سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)^(١١) ، أي: أنّه عاصر إمارة الرها منذ مولده حتى سقوطها على يد زنكي^(١٢) ، والحقيقة أنّ الأحداث التي يشار إليها ضمن تأريخ متي الرهاوي بعد سنة ١٣٦هـ/١٣٦م حتى تاريخ وفاته هي من تأليف تلميذه غريغوري الراهب؛ لأنّ متي الرهاوي كان طاعناً في السن آنذاك ممّا جعله عاجزاً عن إكمال تأريخه فاستكمل تلميذه في سنة ٥٥٦هـ/١١٦٣م ، وربما كان بإيعاز منه وتحت إشرافه؛ لأنّه جاء بالأسلوب والمنهج والانتماء أنفسهم للأرمن والعداء للبيزنطيين ممّا جعل الأمر يختلط على المؤرخين في معرفة تأريخ وفاته^(١٣).

ويبدو أنّ الرهاوي زار مدينة القدس وكنيسة القيامة من دون أن يحدّد تأريخ الزيارة، واتضح ذلك ممّا ذكر عن الآثار الشاخصة في سقف كنيسة القيامة، إذ ذكر أنّه لحظ وجود ثلاثة أسهم ثبتت في السقف، ولعلّ هذه الزيارة نابغة من داخل المكانة التي تتمتع بها مدينة القدس وكنيسة القيامة عند رجال الدين أمثال متي الرهاوي كون زيارتها واجبة عليه^(١٤).

ثانياً. كتابه:

يعدّ كتاب تأريخ متي الرهاوي من المصنفات الأرمينية المهمة التي وصلت إلينا في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد) .

وقد اعتمد في تقصي الأخبار في مصنفه على المصادر الرئيسة في استسقاء معلوماته^(١٥)، وترك هذا المؤرخ وصفاً للحملات العسكرية التي قام بها كلٌّ من نقفور فوقاس^(١٦)، ويوحنا تزيمسكس^(١٧)، على شمال العراق وبلاد الشام ، وما صاحبها من الجو الصليبي والحماسة الدينية التي شابها ما وجد أثناء الحملة الصليبية الأولى، التي قامت بها العناصر اللاتينية لاسترجاع الأراضي المسيحية المقدسة في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد^(١٨).

وقد اعتمد في تأليفه على النظام الحولي، إذ تناول فيه أحداث المدّة الواقعة ما بين عامي (٣٥٢-٥٣٠هـ/٩٦٣-١١٣٦م)^(١٩)، ويعتقد أنّ تلميذه غريغوري الراهب أتمّ الكتاب بعد سنة (٥٣٠هـ/١١٣٦)، بالأسلوب نفسه للرهاوي وطريقة عرضه ووصفه للأحداث التاريخية والشخصيات البارزة^(٢٠).

المبحث الثاني

تواصل صاحب أنطاكيا مع السلاجقة

أولاً. طلب النجدة:

لم يحدثنا متي الرهاوي عن طلب صاحب أنطاكيا ياغي سيان^(٢١) النجدة في بادئ الأمر عندما أرسل إلى حكام السلاجقة في بلاد فارس ، إذ أشار إلى طلب النجدة وهم في طريقهم إلى أنطاكيا وأثناء حصارهم للرها ، لذا لم يتطرق كيف أرسل صاحب أنطاكيا ابنائه إلى الإمارات الإسلامية ، إذ إنَّ ياغي سيان بعد أن علم سير الصليبيين تجاه أنطاكيا أخذ يلتمس الحلفاء ، فأرسل فوراً ابنه شمس الدولة إلى أمراء الشام^(٢٢) ، وأرسل ابنه محمد إلى ملوك الشرق وأمراءه وإلى كربوغا^(٢٣) حاكم الموصل حثهم على القدوم للجهاد ضد الصليبيين^(٢٤) ، وأدرك كربوغا الذي عدَّ أحد أمراء المسلمين في أعالي الجزيرة الفراتية الخطر الذي يهدد العالم الإسلامي كله نتيجة الزحف الصليبي ممَّا جعله يعدّ جيشاً كبيراً لنجدة أنطاكيا قبل وصول الصليبيين إليها^(٢٥) .

ثانياً. سير النجدة:

نكر متي الرهاوي حملة كربوغا قائلاً : " في السنة نفسها [٤٩٠هـ / ١٠٩٨م] وصل كربوغا قائد جيش فرسان بركياروق^(٢٦) ، سلطان بلاد فارس مع جيش جرار لمحاربة الإفرنج ، وعسكر قرب أبواب الرها ، مع قواته حتى موسم الحصاد فخرّب الأرياف ، وشنَّ عدّة هجمات على المدينة ، وكان قد جمع حوله قوات لا حصر لها ، وفي نهاية اليوم الأربعين جاء ابن اغوسيان [كذا] أمير انطاكيا وركع أمامه طالباً مساعدته ، وأخبره أنَّ الجيش الإفرنجي يعاني الكثير ، وقد أوشك على الهلاك من قسوة المجاعة "^(٢٧).

وممَّا سبق وجدنا أنَّ كربوغا وجّه حملته في بادئ الأمر تجاه الرها وحاصرها لمدة من الزمن من دون تحقيق النصر عليها ، ويمكن القول: إنَّ كربوغا وجّه أنظاره تجاه الرها؛ لأنه أراد أن يقضي على الحاجز الأمامي للسيادة الفرنجية التي أخذت ترتسم بجلاء في الشرق ، وكان يتخوف من كونتية الرها التي كان بمقدورها أن تقطع مواصلات السلجوقيين^(٢٨) ، وليس هذا فقط إذ أشارت بعض المراجع إلى أهمية موقع مدينة الرها فقد كان موقعها المهم في إقليم الجزيرة الفراتية ، وكانت واقعة على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام ، وعلى مفترق طرق بين الإمبراطوريات الكبرى التي عرفها العالم القديم ألا وهي الإمبراطورية الفارسية والرومانية^(٢٩) ، فضلاً عن ذلك وقوعها على خطوط المواصلات الإسلامية بين الموصل وحلب وبين بغداد

وسلاجفة الروم في آسيا الصغرى وكانت قريبة من عاصمة الخلافة العباسية بغداد^(٣٠) ، كلّ هذه الأسباب جعلت كربوغا يوجّه أنظاره تجاه الرها قبل سيره إلى أنطاكيا . وفيما يخص قول متي الرهاوي إنّ كربوغا خرب الأرياف المحيطة بالرّها ربّما فيه شيء من المبالغة ، إذ أشارت مصادر المؤرخين غير المسلمين إلى حصار الرها قائلةً : بعد أن ضرب الحصار عليها بكلّ ما أوتي من قوة ، إلا أنّ المدينة قاومتها وحينما فشل في تحقيق شيء هناك أسرع يحنّ الخطي صوب أنطاكيا لإنقاذ ياغي سيان^(٣١) ، وبذلك يمكن القول: إنّ العاطفة الدينية لدى المؤرخ دفعته إلى ادّعاء أنّ كربوغا سلب القرى التي تحيط بالرّها وخرّبها ، أما عن وصول ابن ياغي سيان إلى كربوغا وهو يحاصر الرها فرّبما هنا المؤرخ وقع في الوهم ؛ لأنّ المصادر ذكرت أنّ ياغي سيان أرسل ابنه إلى كربوغا قبل وصول الصليبيين إلى أنطاكيا ، إذ قال الشارتي: عندما رأوا هذا العدد الكبير من المسيحيين خافوا ألاّ يمكنهم مقاومتهم فأرسل ابنه إلى السلطان بركياروق لكي يرسل نجدة سريعة^(٣٢) ، واتضح ممّا سبق أنّ طلب النجدة كان قبل حصار الرها؛ لأنّ السلطان بركياروق في بلاد فارس هو من أمر كربوغا بالقيام بحملة لنجدة أنطاكيا^(٣٣) .

ثالثاً. سير كربوغا تجاه أنطاكيا :

ذكر متي الرهاوي وصول كربوغا إلى انطاكيا قائلاً : " وقد شوهد ثمانمائة ألف فارس وثلاثمائة ألف جندي مشاة ، يتقدمون بفخر وعزة في صفوف متباعدة ، مغطين السهول والجبال على مدّ البصر ، وأقاموا أمام أبواب أنطاكية بكلّ غطرسة لمواجهة الجيش الإفرنجي ، قادرين على نشر الخوف بين الإفرنج ، لكن الله الذي لم يرد الدمار للجيش المسيحي الصغير ، شمله بحمايته كما فعل من قبل مع بني إسرائيل ، وبينما كان الكفار لا يزالون بعيدين ، أرسل أحد أعيان المدينة رسالة إلى بوهيمند وإلى قادة آخرين من الإفرنج يخبرهم عن رغبته بتسليم أنطاكية شريطة المحافظة على رعاياه وأملاك آبائه ، وتحت جنح الظلام قام بتسليم المدينة سرّاً إلى بوهيمند ، إذ فتح باب أحد أبراج السور وأدخل الإفرنج إلى أنطاكية"^(٣٤) .

وفيما يخصّ العدد الذي ذكره الرهاوي عن جيش كربوغا فيه مبالغة واضحة وخالف المصادر الأخرى ، إذ ذكر فوشيه الشارتي أنّ عددهم ما يقارب الستين ألفاً^(٣٥) ، وقال وليم الصوري: إنّ عددهم كان منّي ألف رجل^(٣٦) ، وبهذا يمكن القول: إنّ العاطفة الدينية كانت تؤثر في كتابات المؤرخ إذ إنه أراد تعظيم انتصار الصليبيين على المسلمين بذكر هكذا عدد من الجيوش دون تحقيق النصر على الصليبيين ، أما عن الخيانة التي كانت السبب في دخول الصليبيين لأنطاكيا، فنلاحظ أنّ المؤرخ ذكر الشخص من دون أن يذكر اسمه وعقيدته بل اكتفى

بقول أحد أعيان المدينة وهنا أراد إخفاء حقيقة أنّ هذا الشخص كان نصراني الديانة ومال إلى ابناء عقيدته وسلّم أحد أبراج المدينة لهم ، إذ قال وليم الصوري: إنّه كان زعيم إحدى العائلات المسيحية في أنطاكية التي كانت تدعى بني زرعة ويسميه فيروز وكان تحت حراسته برج الاختين الواقع غرب المدينة وكان هذا الشخص يعمل في القصر وقلّده ياغي سيان عددًا من الوظائف السامية^(٣٧).

وذكر متي الرهاوي قائلًا : " وعند الفجر نفخ الإفرنج في الأبواق ، فتنبه الكفرة وتأهبوا للقتال، إلا أنّهم لم يتمكنوا من النجاة؛ لأنّ الرعب تملكهم والفرع داهمهم ، فانهال الإفرنج عليهم وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ، فكانت مذبحه رهيبة ، وهرب الأمير اغوسيان [كذا] من المدينة فقتل أثناء هروبه من قبل الفلاحين الذين قطعوا رأسه بمنجل هكذا سقطت المدينة التي انتزعت في السابق من الأرمن ، ودخلت بقايا الحامية إلى القلعة واحتتمت وراء أسوارها المنيعة^(٣٨) ، ولحظنا أنّ المؤرخ افتقر إلى الموضوعية والحيادية بكتاباتة وأظهر ميوله العاطفية لأبناء جلدته بتسميته المسلمين بالكفار ، وهذا بعيد عن عمل المؤرخ ونلاحظ أنّ المؤرخ سجّل حقائق وأهمل أخرى إذ سجّل ما رأى فيه نقاطًا إيجابية للصليبيين وأهمل النقاط السلبية بالنسبة إليهم إذ قال وليم الصوري عن حالة الرعب والجوع التي مرّ بها الصليبيون قبل دخولهم إلى أنطاكية وسماعهم بتحريك الجيوش الإسلامية نحوهم قائلًا : إنّ قادة الصليبيين أوصوا الجواسيس أنّ يعملوا على إبقاء هذا الخبر طيّ الكتمان فلا يسمع به أحد من الناس ؛ خوفًا من استيلاء الذعر على جموع العامة التي أرهقتها الجوع ، وأرهقتها الشدائد التي دامت طويلًا ممّا يدفعها إلى تدبير خطة للهروب الذي كان طريقًا سلكه في الواقع منذ وقت كبير بعض الزعماء الكبار^(٣٩) .

وبذلك اتضح أنّ الصليبيين المحاصرين لأنطاكية قد وصلوا إلى حالة من اليأس قبل أن يساعدهم فيروز الأرمني ويسلّم أحد الأبراج إليهم ويدخلوها إذ قال الصوري على لسان فيروز: لو أنّ كربوغا زحف مباشرةً على أنطاكية لكان من الصعب على الصليبيين أن يقفوا في طريق كربوغا ، ولكن شاءت نعمة الرب أن تقع أنطاكية بأيديهم قبل وصوله^(٤٠) .

أما عن الأعمال الوحشية التي ارتكبتها الصليبيون أثناء دخولهم أنطاكية فقال سبط بن الجوزي: وأما أنطاكية فقتل وسبي من الرجال والنساء والأطفال ما لم يدركه الحصر^(٤١)، ممّا يدلّ على أنّهم لم يميزوا بين الجنود وغيرهم ، فهذا بطرس توديبود (ت ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) يروي الرواية وهو شاهد عيان قائلًا : " وأعملوا القتل في الترك والمسلمين الذين صادفهم فيما عدا أولئك الذين لجأوا إلى القلعة^(٤٢) ، وكذلك قال الشارتي : الإفرنج دخلوا المدينة وسيوفهم مشرعة يقتلون الناس في وحشية^(٤٣) .

أما عن مقتل ياغي سيان فإن كتابات المؤرخين غير المسلمين قالت : إن ياغي سيان دخل منطقة خاضعة للقائد الصليبي تتركيد نظراً للإرهاق الذي أصاب خيولهم وسرعان ما تعرّف السكان من الأرمن والسريان على ياغي سيان فقبضوا عليه وضربوا عنقه في الحال وحملوا رأسه إلى بوهيمند^(٤٤) ، وكذلك ذكرت المصادر الإسلامية أنّ الأرمن من قتلته^(٤٥) ، وبهذا يخالف ما جاء به متي الرهاوي من أنّه قتله فلاحون مجهولون .

رابعا. حصار كربوفا لأنطاكيا:

ذكر متي الرهاوي قائلاً: " وبعد مضي ثلاثة أيام اقترب الجيش الفارسي ، وكان أكبر من الجيش المسيحي بسبعة أضعاف ، فحاصره الجيش الفارسي من جميع الجهات وضيّق الخناق عليهم ، وكان مصدر تهديد كبير لهم ، وأصبحوا فريسة المجاعة والمعاناة ، لأنّ المؤن في أنطاكيا كانت قد نفذت من قبل ، وكان كلّ يوم يمرّ يزيد من صعوبة موقفهم الميؤوس منه ، فعزما على الطلب من كربوفا أنّ يضمن لهم حياتهم بقسمة اليمين ، واعدن إياه أنّ يتركوا أنطاكية ويغادرون إلى بلادهم " ^(٤٦) ، ولحظنا أنّ متي الرهاوي قد أورد الرواية باختصار شديد ولم يتطرق إلى الهجمات التي شنّها جيش كربوفا ، فضلاً عن الحصار عليهم ، فهذا بطرس توديبود يروي الرواية كشاهد عيان وقال : " إنّه عند وصول كربوفا إلى أنطاكيا التقى بشمس الدولة بن ياغي سيان وكانت قلعة أنطاكيا ما زالت لديه وطلب منه أنّ يسلمها إليه ، وفي اليوم الثالث من دخول أنطاكيا ظهرت طلائع جيش العدو أمام المدينة وحاصروا أحد الأبراج وقتلوا المدافعين عنه " ^(٤٧) ، ثم يقول في موضع آخر: " أجرى كربوفا استعدادة للقتال وكان لديهم من القوة بحيث لا يتسنى لنا مواجهتهم ولذلك آثرنا الارتداد إلى داخل أنطاكيا ولقي الكثير من الهاربين من رجالنا حتقهم ، وقام الترك بذبح الكثير من رجالنا " ^(٤٨) .

ولحظنا أنّ القوات المحاصرة لأنطاكيا دخلت في عدّة مواجهات استطاعت فيها كسر الصليبيين وليس الأمر كما صوّره متي الرهاوي ، إذ قال ريموند جيل : " اعتقد الجموع إزاء الوقائع التي أصابتهم أنّ الأمراء يرغبون في الهروب وأنّ قلة منهم فقط من راسخي الإيمان لم تكن تفكر في الهرب " ^(٤٩) ، وتحّدث وليم الصوري عن المضايقات والهجمات التي شنّها جيش كربوفا على الأسوار قائلاً: " وهلك الكثير من أهل المدينة عن جراء هذه المناورات المحيرة ، حتى أدى بالزعماء إلى إجماعهم الأمر على وجوب إيجاد علاج لهذا الشر المستطير " ^(٥٠) ، كلّ هذه الروايات أكدت أنّ جيش كربوفا لم يكتفِ بالحصار فقط كما صوّره متي الرهاوي بل شنّ هجمات كثيرة أدّت إلى مقتل العديد من جنود الصليبيين .

أما عن قوله: إنَّ الصليبيين عزموا على الطلب من كربوغا أن يغادر أنطاكيا ، فأكد ابن الأثير ذلك إذ قال: " أرسلوا إلى كربوغا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد ، فلم يعطهم ما طلبوه وقال : لا تخرجون إلا بالسيف " (٥١) .

وأشار متي الرهاوي قائلاً : " وقد شهد الربّ مأساتهم الشديدة ، فأنزل عليهم رحمته وشفقته ، وفي أثناء الليل رأى أحدهم رؤيا معجزة فقد ظهر الرسول القديس بطرس لأحد الإفرنج الاتقياء وغمره برحمته ، وقال له : هناك في الكنيسة إلى اليسار الرمح الذي طعن به كتف المسيح الطاهر من قبل الأمة اليهودية الملحدة والرمح موجود أمام الذبح أذهب وانتزعه وتسلح بهذه العلامة المقدسة ، وسر إلى المعركة ، وبه ستتصر على الكفار كما تغلب المسيح على الشيطان ، وتكررت هذه الرؤيا ثانية وثالثة ، ورويت إلى جودفري وبوهيمند وجميع القادة ، وبعد لأداء الصلاة حفروا الموضع المشار إليه ، فوجدوا الرمح الذي طعن به جنب المسيح في كنيسة القديس بطرس " (٥٢) .

ولحظنا أنَّ متي الرهاوي أراد أن يبرز القوة الروحية للنصرانية ، وربط الانتصار بعثورهم على الرمح الذي زعموا أنَّ المسيح (عليه السلام) قُتل به ، ولعلَّ هذا الأمر هو مَنْ صنع الصليبيين بعد الظروف السيئة التي مرَّ بها جنودهم أثناء حصار كربوغا لهم ، ومحاولة البعض منهم الفرار والعودة إلى بلدانهم ، وأكدت بعض المصادر ذلك ، إذ قال ابن الأثير : كان صنجيل مقدم الفرنج فيه دهاء ومكر فرتب مع راهب لهم حيلة وقال اذهب وادفن هذه الحربة في مكان كذا، وقال للفرنج رأيت المسيح في منامي وهو يقول : في المكان الفلاني حرفة مدفونة فاطلبوها ، فإنَّ وجدتموها فالظفر لكم " (٥٣) .

ونجد أنَّ مصادر المؤرخين غير المسلمين اختلفت فيما عثروا عليه مدفوناً بحسب ما ادَّعوا ، إذ قال وليم الصوري : " ظهر له في المنام ثلاث إلى أربع مرات متتالية ... اخبار القادة أنَّ الحربة التي طعن بها سيدنا المسيح في جنبه مدفونة ... " (٥٤) ، في حين قال ابن العبري : "ورأى أحد ملوك الفرنج حلمًا فحفروا موضعًا في بيعة القسيان (٥٥) ، عثروا فيه على مسامير صليب ربنا يسوع ، فصاغوا منه صليباً وسان رمح اتخذوها بمثابة راية " (٥٦) ، وقال المستشرق ميخائيل زابوروف فيما يخصَّ ذلك : إنَّ الهدف من هذه التمثيلات الدينية الذي كان مستوراً عن الملهمين والمشاركين ، والذين كانوا لا يدركونه كان يتلخص أغلب الظن في أمر واحد هو درء خيبة الأمل المحتممة في ظروف الإخفاقات الشاقة لدى المشتركين في المشروع الصليبي ، ممَّا يؤدي بالتالي إلى رصَّ صفوف الفرسان الصغار والفلاحين الفقراء حول الأمراء والقادة (٥٧) ، وهذا أكد ما أشرنا إليه من قبل عن زيف هذا الأمر واصطناعه .

وقال متي الرهاوي : " وفي أثناء تلك الأحداث وصلت رسالة من معسكر الكفار إلى الإفرنج تحثهم على القتال ، وكان هؤلاء تملؤهم الفرحة ، فأجاب بوهيمند والقادة الآخرون على كربوغا أنهم يقبلون تحديهم له يوم غد ، وكان جيش الإفرنج قد تناقص عدده ، ولم يعد يتجاوز الخمسة عشر ألف فارس ومئة وخمسين ألفاً من المشاة ، فتقدم المسيحيون إلى القتال ويتقدمهم رمح المسيح كراية شامخة ، وكان الكفار منتشرين على امتداد وسهول أنطاكيا بعمق خمسة عشر صفاً ، قاد سانت جيل المقدمة رافعاً الرمح الذي طعن به جنب المسيح في وجه رايات كربوغا الذي واجههم بقوات لا حصر لها متجمعة ومتراصة كالجبل انقض الصليبيون جميعاً على الكفار فولوهم الأدبار ، وعمّ الهرج والمرج بين صفوفهم ، ونكّلوا بهم وطاردهم طوال ذلك النهار حتى تخضبت سيوف الصليبيين بالدماء وتغطّت السهول بالجثث ، وكان المشاة الأكثر فداحة في صفوف مشاة العدو ، وقد انتصر الربّ منهم بشدة إذ أهلكت النار منهم ثلاثين ألف رجل ... ثم رجع الصليبيون إلى أنطاكيا ودخلوها وهم محملون بالغنائم ، ويجرون خلفهم عددًا كبيراً من الأسرى تغمرهم سعادة عارمة ، كان يوماً عظيماً ومشهوداً بثّ البشرى والفرح بين المؤمنين ^(٥٨) ، ويمكن القول: إنّ متي الرهاوي قد وقع في الوهم بإشارته إلا أنّ سانت جيل قاد المقدمة رافعاً الرمح ، وأشارت مصادر المؤرخين غير المسلمين إلى أنّ سانت جيل لم يشترك في المعركة ، إذ قال وليم السوري : " واشتدت وطأة المرض بكونت تولوز [سانت جيل] في هذا الوقت فخلفوه وراءهم لحماية المدينة ^(٥٩) ، وكذلك قال ريموند جيل: " كنت شاهداً على هذه الحوادث وحاملاً للحربة المقدسة ^(٦٠) ، ممّا يدلّ على أنّ الرمح كان يحمله ريموند جيل؛ كون سانت جيل بقي في الحامية المسؤولة عن حماية مدينة أنطاكيا ، وهنا اتضح لنا أنّ متي الرهاوي لم يكن دقيقاً في نقله لبعض الأحداث الخاصة بالصليبيين .

وعن أعداد القتلى بحسب ما صوّره متي الرهاوي ربّما فيه شيء من المبالغة إذ قالت المؤرخة البيزنطينية انا كومنا (ت٥٤٧هـ/١١٥٣م) : " أثار الرعب في قلوب الترك الذين فروا قبل أن تنشب المعركة ... على أنّه جرى أثناء هذا الفرار وقوع كثير في النهر فابتلعهم ... ^(٦١) ، وقال فوشيه الشارتي : " إنّ الإفرنج كانوا يملكون خيولاً قليلة ضعيفة وجائعة فإنّهم لم يتمكنوا من أسر عدد كبير من الأتراك ولكنهم عادوا للخيام وحصلوا على الغنائم فيها ^(٦٢) ، أما عن سبب انكسار جيش كربوغا فإنّ المصادر الإسلامية كان لها رأي عن سبب الهزيمة قائلة: إنّ كربوغا أساء السيرة فيمن معه من المسلمين ، وأغضب الأمراء وتكبّر عليهم ظلماً منه أنّهم يقيمون على هذه الحال ، فأغضبهم ذلك وأضمرؤا له في أنفسهم الغدر إذ كان القتال ^(٦٣) .

وبذلك اتضح ممّا سبق أنّ سبب الهزيمة ليس كما صوّره المؤرخون غير المسلمين وربطها الانتصار بعنورهم على الحرب المقدسة. بل السبب كان في خوف أمراء بلاد الشام من أنّ كربوغا في حال انتصر على الصليبيين وضّم أنطاكيا له سيصبحوا هم أول ضحاياه وبدأوا ينسحبون من الميدان ممّا نشر الذعر بين الجنود^(٦٤).

وممّا سبق يمكن القول: إنّ السبب في فشل نجدة كربوغا إلى أنطاكيا تجلّى بعدة أسباب منها: أولاً. حصار كربوغا لمدينة الرها أثناء سيره لنجدة أنطاكيا لمدة ثلاثة أسابيع أفقده عنصر الزمن الذي كان لو تحرك مباشرةً لأنطاكيا لوجد الصليبيين ما زالوا لم يسيطروا عليها بعد ومرابطين خارج أسوارها .

ثانياً . إنّ كربوغا عند وصوله التقى شمس الدولة ابن ياغي سيان الذي كان ما زال يسيطر على قلعة المدينة وطالبه قبل كلّ شيء بتسليم القلعة له ، هذا الأمر جعل بعض القادة يتخوفون ممّا يخطط له كربوغا .

ثالثاً . أساء كربوغا السيرة فيمن معه من أمراء بلاد الشام وغيرهم ممّا جعلهم يخافون أنّ يصبحوا أول ضحاياه ويستولي على إماراتهم بعد انتصاره في أنطاكيا .

رابعاً . رفض كربوغا طلب الصليبيين منه بالسماح لهم بالمغادرة من دون قتال ، فضلاً عن ذلك عدم سماعه لرأي مرافقيه من الأمراء بالهجوم على القوات الصليبية أثناء خروجهم لقتاله وهم متفرقين وإصراره على خروجهم جميعاً وأن يطبق عليهم مرة واحدة ، كلّ هذه الأسباب كان لها دور في فشل حملة كربوغا لنجدة أنطاكيا على الرغم من ضخامة جيشه .

الخاتمة:

١. تبين من خلال الدراسة ان تاريخ متي الرهاوي من المصنفات غير الاسلاميه المهمه التي تناولت الحروب الصليبيه بشكل واسع .
٢. اوضحت الدراسة ان عاطفه المؤرخ الدينيه تكاد تكون واضحه في ذكره لبعض الروايات الخاصه بالصليبيين لانهم من ابناء جلدته.
٣. بينت الدراسة ان الخلفاء المسلمين وكذلك حكام السلاجقه بذلوا جهداً واسعاً لصد الهجمات الصليبيه من خلال تسيير بعض الحملات تجاه الصليبيين .
٤. اوضحت الدراسة ان الحمله التي قادها كربوغا كانت تفتقر للانسجام بين قادتها مما كان هذا سبباً في فشل هذه الحمله من تحقيق اهدافها المنشوده .
٥. كشفت الدراسة ان الصليبيين كان من الصعب عليهم دخول بعض المدن الاسلاميه كانطاكيا او غيرها لولا مساعده ابناء عقيدتهم من سكان هذه المدن سواء كان من الارمن او غيرهم .

References

- (١) الرها : مدينة بالجزيرة الفراتية بين الموصل وبلاد الشام بينهما ستة فراسخ (٣٦٠كم) سميت باسم الذي استحدثها وهو الرهاء بن البلندي بن مالك بن واعر . ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله بن عبدالله الرومي (ت ١٢٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان ، ط٢ (بيروت : دار صادر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م)، ج٣، ص١٠٦ .
- (٢) كوخ فاسيل : لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين ايدينا .
- (٣) الرويضي ، محمود محمد ومصطفى عبد الرحيم ، مقدمة تحقيق كتاب " تاريخ متي الرهاوي" ، (عمان : مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ص ٩ .
- (٤) يوسف، جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى، ط١ (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨١م)، ص٢٥ .
- (٥) الجنزوي، عالية عبد السميع ، إمارة الرها الصليبية ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ص ١٧ .
- (٦) الرويضي، مقدمة تحقيق كتاب تاريخ متي الرهاوي ، ص ١٠ .
- (٧) المصدر نفسه، ص ٣٠ .
- (٨) يوسف، العرب والروم ، ص ٢٥ .
- (٩) الرويضي، مقدمة تحقيق تاريخ متي الرهاوي ، ص ١٠ .
- (١٠) هو ابو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبدالله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب صاحب الموصل فوض اليه محمود بن ملكشاه ولاية بغداد في سنة احدى وعشرين وخمسة، ولد سنة سبع وسبعين واربعمئة وقتل سنة احدى واربعين وخمسة. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين بن محمد بن ابراهيم البرمكي الاربلي (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، ط١ (بيروت : دار صادر ، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠)، ج٢، ص٣٢٧-٣٢٨ .
- (١١) يوسف ، العرب والروم ، ص٢٥ .
- (١٢) الجنزوي ، أمانة الرها الصليبية ، ص١٧ .
- (١٣) الرويضي ، مقدمة تحقيق تاريخ متي الرهاوي ، ص ١١ .
- (١٤) المصدر نفسه ، ص ١٢ .
- (١٥) الجنزوي ، امانة الرها الصليبية ، ص ١٧ .
- (١٦) نقفور فوقاس : لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين ايدينا ، ولكنه أحد ملوك الروم البيزنطيين .
- (١٧) يوحنا تريمسكس : لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين ايدينا .
- (١٨) توفيق ، عمر كمال ، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي (الامبراطور يوحنا تريمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩-٩٧٦م) ، ط٢ (الاسكندرية : دار الشرق الاوسط للطباعة والنشر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م) ، ص١٧٧-١٧٨ .

- (١٩) الرويضي ، مقدمة تحقيق تاريخ متي الرهاوي ، ص ١٣ .
- (٢٠) جوزيف ، العرب والروم ، ص ٢٥ ؛ عطية ، حسين محمد ، امارة انطاكية الصليبية والمسلمون ٥٦٧-٦٦٦هـ/١١٧١-١٢٦٨م) ، ط١ (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ، ص ٦٤-٦٥ .
- (٢١) هو ياغي سيان مؤيد الدين السلجوقي حاكم انطاكيا . ابن القلانسي ، ابو يعلي حمزة بن اسد بن علي بن محمد (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق : سهيل زكار ، ط١ (دمشق : دار حسان للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص ٢٠١ .
- (٢٢) ارسل ياغي سيان ابنه شمس الدولة الى دقاق ملك دمشق واتابكه طغتكين ، وكتب الى جناح الدولة صاحب حمص وتجنب دعوة رضوان امير حلب ولعل ذلك هو الخلاف الذي نشب بينهما في غمرة صراع الامراء على بلاد الشام بعد وفاة تتش . طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق ٤٨٩-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) ، ط١ (بيروت : دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص ١٠٠ .
- (٢٣) هو قوام الدين كربوغا امير الموصل كان تحت امرة سلاطين سلاجقة بلاد فارس توفي في اذربيجان سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م) . ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه بن ايوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ، ط١ (القاهرة : المطبعة الحسينية المصرية ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .
- (٢٤) السرجاني ، راغب ، قصة الحروب الصليبية من البداية حتى عهد عماد الدين زنكي ، ط٢ (القاهرة : مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م) ، ص ١١٢ ؛ طقوش ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٠٠ .
- (٢٥) طقوش ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٠٠-١٠١ .
- (٢٦) هو ابو المظفر بركياروق الملقب بركن الدين بن السلطان ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، احد ملوك السلاجقة ولي المملكة بعد موت ابيه كان مولده سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م واقام اثني عشر سنة في السلطنة توفي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .
- (٢٧) تاريخ متي الرهاوي ، ص ٨٩ .
- (٢٨) زابوروف ، ميخائيل ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة : الياس شاهين ، (موسكو : دار التقدم ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ٩١ .
- (٢٩) الجنزوي ، امارة الرها الصليبية ، ص ٣٩ .
- (٣٠) المرجع نفسه ، ص ٤٠ .
- (٣١) الشارتي ، فوشيه (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م) ، تاريخ الحملة الى القدس ، ترجمة : زياد العسلي ، ط١ (بيروت : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ص ١١٧ ؛ الصوري ، وليم ، (ت ٥٨٠هـ/١١٨٦م) ، الحروب الصليبية ، ترجمة : حسن حبشي ، (القاهرة : مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع ، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
- (٣٢) تاريخ الحملة الى بيت المقدس ، ص ١١٠ ؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .

- (٣٣) الصوري ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ؛ السرجاني ، الحروب الصليبية ، ص ١١٩ .
- (٣٤) تاريخ متي الرهاوي ، ص ٩١-٩٢ .
- (٣٥) تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١١٧ .
- (٣٦) الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣٤-٣٣٥ ؛ وينظر : ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ج ٨ ، ص ٤١٧ ، إذ أكد ذلك ويسميه زراد ؛ سبط بن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاعلي بن عبد الله (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٥م) ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق : محمد بركات واخرون ط١ (دمشق : دار الرسالة العالمية ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، ج ١٩ ، ص ٤٩١ .
- (٣٨) تاريخ متي الرهاوي ، ص ٩٢-٩٣ .
- (٣٩) الحروب الصليبية ؛ ج ١ ، ص ٣٤١ .
- (٤٠) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
- (٤١) مرآة الزمان ، ج ١٩ ، ص ٤٩١ .
- (٤٢) تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، نقله الى الانجليزية : جون هيوغ هيل ولوريتال هيل ، نقله للعربية : حسين محمد عطية ، ط١ (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، ص ١٨٤ .
- (٤٣) تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١١٥ .
- (٤٤) بطرس توديبود تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، ص ١٨٤ ؛ الشارتي ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١١٥ ؛ ولیم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٥٩-٣٦٠ .
- (٤٥) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج ٢ ، ص ٤١٧-٤١٨ ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٩ ، ص ٤٩١ .
- (٤٦) تاريخ متي الرهاوي ، ص ٩٣ .
- (٤٧) تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، ص ١٨٥_١٨٦ .
- (٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ .
- (٤٩) تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، نقله الى الانجليزية : جون هيوهم هيل ، لوريتال هيل ، نقله الى العربية : حسين محمد عطية ، ط١ (القاهرة : كلية الاداب ، ١٩٩٠هـ/١٤١٠م) ، ص ١٣٢ .
- (٥٠) الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .
- (٥١) الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٤١٩ .
- (٥٢) تاريخ متي الرهاوي ، ص ٩٤ .
- (٥٣) الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٤١٩ ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٩ ، ص ٤٩١-٤٩٢ .
- (٥٤) الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٩٦ .

(٥٥) بيعة القسيان ، هي كنيسة عظيمة جليلة البناء والقدر عند النصارى في انطاكيا ، وفيها من الخدم المسترزقة ما لا يحصى ، ولها ديوان داخل الكنيسة وخارجها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦٧-٢٦٨ .

(٥٦) غريغورس ابو الفرج بن اهرن (اوهارون) بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق البيروتية ، (بيروت : في مجلدات ٤٣ (١٩٤٩م) ، ٤٥ (١٩٥١م) ، ٤٦ (١٩٥٢م) ، ٤٧ (١٩٥٣م) ، ٤٨ (١٩٥٤م) ، ٤٩ (١٩٥٥م) ، ٥٠ (١٩٥٦م) ، وردت هذه الرواية في مج ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ص ١٦ .

(٥٧) الصليبيون في الشرق ، ص ٩٥ .

(٥٨) تاريخ متي الزهاوي ، ص ٩٥-٩٦ .

(٥٩) الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(٦٠) تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص ١٤٦ .

(٦١) الكسيادا ، ترجمة : حسن حبشي ، ط ١ (القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٠م) ، ص ٤٣٦ .

(٦٢) تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١٢١-١٢٢ .

(٦٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٤١٨ ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط ١ (بيروت : دار الغرب الإسلامي - ٢٠٠٣م) ، ج ٣ ، ص ١١ .

(٦٤) رانسيمان ، ستيفن ، تاريخ الحملات الصليبية (من كلير مونت الى اورشليم) ، ترجمة : نور الدين خليل ، ط ٢ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .